

ذات أهمية بالغة.

مثلاً، في انكلترا القرن السادس عشر، وجهت الى البروتستانتين، أيام الملكة ماري الكاثوليكية (١٥١٦ - ١٥٥٨)، ضربة شديدة، منها احراق ثلاثمائة شخص دفعة واحدة، بغية اعادة الكاثوليكية. هرب البروتستانتون الناجون من الحرق، ومن السجن، الى امكن عديدة في اوروبا، ولكن استقر الكثيرون في جنيف، وهناك كان مركز نشاطهم السياسي والدعائي لفترة. يمكن اعتبار «الارض الصديقة» هنا بالنسبة للبروتستانتين مختلف مناطق الهجرة، مع التشديد على جنيف، حيث اصدر رجال الدين البروتستانتون المجلد الذي عرف بعنوان «كتاب الشهداء»، وكتاب «توراة جنيف». وبقيت للكتابين شعبية في انكلترا لسنوات طويلة. وكذلك، كانت باريس «ارضاً صديقة» للملك الانكليزي جيمس الثاني، الذي هرب من بلاده في العام ١٦٨٨، وايضاً لوريثه الذي سمي نفسه جيمس الثالث. في المقابل، كانت انكلترا «ارضاً صديقة» للاستقراطيين الفرنسيين الذين هربوا من الثورة الفرنسية. طبعاً، في كل الحالات المذكورة، ما كان ممكناً ان تكون المناطق المذكورة «ارضاً صديقة» لولا البعد السياسي الذي يجعل الطرف الهارب في تجانس، او في تجانس نسبي، مع الجو الجديد.

لقد كانت بعض مناطق اوروبا، ومنها جنيف، مراكز دعوة للمنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية، ولذلك، وجد فيها البروتستانتون الانكليز ملجأً. وكانت باريس، في العام ١٦٨٨، ملاذاً كاثوليكياً ينسجم مع قضية جيمس الثاني، ويشجعها. وكانت انكلترا، أيام الثورة الفرنسية، زعيمة التعبئة الرجعية في اوروبا ضد تلك الثورة، ولذا، كانت تتبنى الاستقراطيين الفرنسيين وتشجعهم وتوفر لهم كل امكانات النشاط.

٣

في حالات الكفاح من اجل الاستقلال او من اجل تحرير الارض او من اجل التحرر الوطني، تكون الأمور اعقد من الامثلة التي مررنا بها والتي تتألف من مجرد اللجوء البسيط الى الخارج. مع ذلك، ليست الحالات كلها في نفس الدرجة من التعقيد، فبعضها يتطابق، تقريباً، مع صورة اللجوء البسيط. مثلاً، وجد نشاط مثقفي النهضة العربية ضد الاحتلال التركي «ارضاً صديقة» في اوروبا، فرنسا وانكلترا، وفي مصر التي كانت عاصمة حركة الثقافة العربية في عهد النهضة. التفسير هو ان الاستعمارين، الفرنسي والانكليزي بصورة خاصة، كانا طامعين بالمدى الامبراطوري للسلطنة العثمانية. وكان في صالحهما التحريض «القومي»، العربي او غيره، ضد الاحتلال التركي وخلق جو ملائم للنشاط المناوئ لتركيا في اوروبا وللنشاط العربي المعادي للسلطنة العثمانية، في مصر خاصة.

الا ان الامر يختلف بالنسبة للحرب الوطنية العظمى في الاتحاد السوفياتي. كانت «الارض الصديقة» هي العمق الآسيوي السوفياتي، فكانت خلية نشاط كثيف، بشري واستراتيجي - سياسي واقتصادي، ونقل اليها، بعملية انقاذ تاريخية جبارة، معظم المعامل التي كانت في القسم الاوروبي، وبنيت فيها معامل جديدة، وطورت القديمة، وعبئت الجيوش، ونظمت الامدادات المختلفة الى ارض المعركة، الخ.

في الجزائر، كانت «الارض الصديقة»، في التسعة شهور الاولى من ثورة ١٩٥٤ التحررية